والخطاب يجوز أن يراد به جميع الأمة ويجوز أن يوجه إلى المنافقين على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ارتفاقا بهم .

والاستفهام في قوله (ما يفعل ا بعذابكم) أريد به الجواب بالنفي فهو إنكاري أي لا يفعل بعذابكم شيئا .

توعد الذي الوعيد أن والمعنى . بالباء تعديته بدليل وينتفع يصنع (يفعل) ومعنى A E به المنافقون إنما هو على الكفر والنفاق فإذا تابوا وأصلحوا واعتصموا با غفر لهم العذاب فلا يحسبوا أن ا يعذبهم لكراهة في ذاتهم أو تشف منهم ولكنه جزاء لاسوء لأن الحكيم يضع الأشياء مواضعها فيجازي على الإحسان بالإحسان وعلى الإساءة بالإساءة فإذا أقلع المسيء عن الإساءة أبطل ا جزاءه بالسوء إذ لا ينتفع بعذاب ولا بثواب ولكنها المسببات تجري على الأسباب . وإذا كان المؤمنون قد ثبتوا على إيمانهم وشكرهم وتجنبوا موالاة المنافقين والكافرين فا لا يعذبهم إذ لا موجب لعذابهم .

وجملة (وكان ا شاكرا عليما) اعتراض في آخر الكلام وهو إعلام بأن ا لا يعطل الجزاء الحسن عن الذين يؤمنون به ويشكرون نعمه الجمة والإيمان با وصفاته أول درجات شكر العبد ربه .

(لا يحب ا الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان ا سميعا عليما [148] إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن ا كان عفوا قديرا [149]) موقع هذه الآية عقب الآي التي قبلها : أن ا لما شوه حال المنافقين وشهر بفضائحهم تشهيرا طويلا كان الكلام السابق بحيث يثير في نفوس السامعين نفورا من النفاق وأحواله وبغضا للملموزين به وخاصة بعد أن وصفهم باتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وأنهم يستهزئون بالقرآن ونهى المسلمين عن القعود معهم فحذر ا المسلمين من أن يغيظهم ذلك على من يتوسمون فيه النفاق فيجاهروهم بقول السوء ورخص لمن ظلم من المسلمين أن يجهر لظالمه بالسوء لأن ذلك دفاع عن نفسه . روى البخاري : أن رجالا اجتمعوا في بيت عتبان بن مالك لطعام صنعه لرسول ا A فقال قائل : أين مالك بن الدخشم فقال بعضهم ذلك منافق لا يحب ا ورسوله فقال رسول ا : " لا تقل ذلك ألا تراه قد قال : لا إله إلا ا يريد بذلك وجه ا . فقال : فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين " . الحديث . فظن هذا القائل بمالك أنه منافق لملازمته للمنافقين فوصفه بأنه منافق لا يحب ا ورسوله . فلعل هذه الآية نزلت للصد عن المجازفة بظن النفاق بمن ليس منافقا . وأيضا لما كان من أخص أوصاف المنافقين إظهار خلاف ما يبطنون فقد ذكرت

نجواهم وذكر رؤياهم في هذه السورة وذكرت أشياء كثيرة من إظهارهم خلاف ما يبطنون في سورة البقرة كان ذلك يثير في النفوس خشية أن يكون إظهار خلاف ما في الباطن نفاقا فأراد ا تبين الفارق بين الحالين .

وجملة (لا يحب) مفصولة لأنها استئناف ابتدائي لهذا الغرض الذي بيناه : الجهر بالسوء من القول وقد علم المسلمون أن المحبة والكراهية تستحيل حقيقتهما على ا تعالى لأنهما انفعالان للنفس نحو استحسان الحسن واستنكار القبيح فالمراد لازمهما المناسب للإلهية وهما الرضا والغضب .

وصيغة (لا يحب) بحسب قواعد الأصول صيغة نفي الإذن . والأصل فيه التحريم . وهذا المراد هنا لأن (لا يحب) يفيد معنى يكره وهو يرجع إلى معنى النهي . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال رسول ا A " إن ا يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا إلى قوله ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال " . فهذه أمور ثلاثة أكثر أحوالها محرم أو مكروه .

والمراد بالجهر ما يبلغ إلى أسماع الناس إذ ليس السر بالقول في نفس الناطق مما ينشأ عنه ضر . وتقييده بالقول لأنه أضعف أنواع الأذى فيعلم أن السوء من الفعل أشد تحريما .

واستثنى (من ظلم) فرخص له الجهر بالسوء من القول . والمستثنى منه هو فاعل المصدر المقدر الواقع في سياق النفي المفيد للعموم إذ التقدير : لا يحب ا جهر أحد بالسوء أو يكون المستثنى مضافا محذوفا أي : إلا جهر من ظلم والمقصود ظاهر وقد قضي في الكلام حق الإيجاز .

A E